الصحافة والدين[1]

البدعة الملعونة التي يحب بعض الصحفيين أن يقترفها في هذه الأيام هي الهجوم علىٰ الدين والنيل بَغْيًا من قِيَمِه المقدسة ومثله العليا؛ وإني لأوقن أن هؤلاء الصحفيين الذين يقترفون هذا هم ألد أعداء ثورتنا العظيمة، وإن كانوا يزعمون أو يتراءون بأنهم أَبَرُّ أنصارها. فإن من يقرأ لهؤلاء الذائدين عن الجهالة والجاهلية، قد يظن أن الهجوم علىٰ الدين من سمات العهد الحاضر، وديدن أبطاله. ولعل هؤلاء الكائدين لثورتنا العظيمة بهذا الكيد الملعون يحبون أن يفهم المسلمون هذا، فتنقطع الأرحام، وتستعصي علىٰ الأُخوَّة القلوب، وعلىٰ الوحدة الآمال والغايات. مِنْ هؤلاء مَنْ يدعون إلىٰ الإباحية المقنعة، وإلىٰ المجانة التي لا ترىٰ للفضيلة الدينية قدسية، ولا ترعىٰ لها محرابًا.

ومنهم من يتهجم علىٰ أقدار رجال لهم صيت كريم بين المتدينين، وليس هدفه في الحقيقة سوىٰ التهجم بقحة وتبجح علىٰ الدين نفسه.

ومنهم نكرات تحاول اقتراف الشهرة بالكفر الصراح، أو السوء الْبَوَاح، أو بالسباب المقذع، والهجاء الفاحش لخير أصحاب الرسول ﷺ، فهذا كاتب يكتب في إحدىٰ الصحف عن الخليفة الجليل عثمان بن عفان الشهيد البار وعن كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان، وعن الفاتح العظيم عمرو بن العاص أنهم أبناء الأرستقراطية، والانتهازيون، ويغمزهم غمزًا دنيًّا تفهم منه أنه يشبههم بأبي جهل لعنه الله[2].

---

(١) (١٣٨١/٤).

(٢) لمزيد فائدة حول هذا الموضوع انظر كتابنا: «**لا تسبوا أصحابي**» ردود العلامة محمود =

وقد ظن الكاتب الإمَّعة أنه بهذا الفحش والبهتان يدافع عن الاشتراكية، كما ظن أنه بهذا البهتان سيقتحم مقام الخلود علىٰ الخالدين، ولعله بات يحلم بالدوي العظيم الذي سيحدثه مقاله، وبالأقلام التي ستشرع للرد عليه، أو للدفاع عنه، فيكسب من وراء ذلك شهرة، وإن كانت شهرة الشيطان.

إن هؤلاء الكاتبين ألد أعداء الثورة، ألد أعداء العدالة الاجتماعية، ألد أعداء النصر الكبير الذي نأمل أن تخفق ألويته؛ إنهم يكيدون مستعمدين أو غافلين لثورتنا الظافرة أدنأ الكيد، ويوحون إلىٰ الناس في الخارج أننا أمة راحت تتنكر لدينها وتكفر بربها، وتمقت رسولها، وتقذف بقرآنها وراء ظهورها في سخرية عاتية.

ولهذا نؤمن بأنه لا بد من أخذ هؤلاء بشدة وصرامة فيها غضب الحق علىٰ الباغين عليه، حتىٰ نؤكد لهذه الأمة أننا الحريصون علىٰ دين الله، فما سمعنا من قائد الثورة البطل سخرية بالدين، ولا كلمة تهزأ به، وإنما سمعنا صوته مدويًا ينذر الملاحدة ذات مرة بقوله: (لن ترتفع فوق راية هذا الشرق إلا راية الإسلام).

فما لهؤلاء الكتاب يأبون إلا هذه اللآمة في الكيد لدين الله ولشريعته، ولرسوله، ولكتابه، ولثورتنا الجليلة؟

ولقد كنا نود أن نصرح بأسماء هؤلاء الكاتبين، غير أنا أكرمنا هذه المجلة عن أن ندنسها بذكر أسمائهم، ولعل الإمعة الذي اتهم الخليفة الجليل عثمان رضي الله عنه بأنه كأبي جهل يلطم خديه الآن آسفًا، إذ لم يجد لمقاله ذلك الدوي الذي كان يترقبه، وإنما وجده أشبه بقطرة صغيرة من القطران في محيط عميق.

=

شاكر ومعاصريه علىٰ سيد قطب ومؤيديه، ط: دار سبيل المؤمنين. (ض).

صلاح دسوقي:

ولقد هزنا ذلك المقال العظيم الذي كتبه الأستاذ الكبير محافظ القاهرة[١] صلاح دسوقي ردًّا علىٰ الكاتب الذي تهجم علىٰ الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة[٢]، فأكد بهذا المقال أن الثورة البنَّاءة تعرف للدين قدره العظيم، وأن رجالها لا يمكن أن يطرق بخاطر واحد منهم النيل منه، وإليك بعض ما جاء في هذا المقال الذي نشر بجريدة الجمهورية بتاريخ ٢٦/ ٨/ ١٩٦١:

لا أعدو الحقيقة إذا قلت صادقًا: إني تألمت للهجوم القاسي الذي شنه الأستاذ (...) علىٰ الشيخ «محمد أبو زهرة».

ولا أود أن يظن إنسان أني أحاول في هذه الكلمات أن أدافع عن الشيخ أبو زهرة، أو أن أنتصف له فإني أعرف أن الشيخ يملك من وسائل الدفاع عن نفسه ما قد يقصر عنده جهدي.

كما لا أود أن أتعرض لتفصيلات الخلاف في الموضوع؛ وإن ما قصدت إليه أن أعبر عن بعض المشاعر المخلصة التي حركتها في نفسي مقالة (...) الأخيرة.

وأن أرد في نفس الوقت علىٰ الاستفسارات التي حملها إلي البريد والتي تلقيتها

(١) ورد في المقال العظيم أشياء يختلف رأينا فيها عن رأي الأستاذ الكبير.

(٢) محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف بأبي زهرة في المحلة الكبرىٰ التابعة لمحافظة الغربية بمصر في ٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ = ٢٩ من مارس ١٨٩٨م ، درس بمدرسة القضاء الشرعي، ودار العلوم، وعمل مدرسًا بالمدارس الثانوية، ثم بكلية أصول الدين، ثم بكلية الحقوق حتى صار وكيلًا لها، كما عين عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، له الكثير من المؤلفات، توفي الشيخ سنة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م، وقد كانت عقيدته أشعرية !! (ض).

من أناس أعرف بعضهم عن معنىٰ هذا الهجوم القاسي، وعما إذا كان وراءه أكثر من معناه الظاهر.

بعض الكتاب:

لم تكن مقالة (...) هي الأولىٰ في الآونة الأخيرة التي يتعرض كاتبها للهجوم علىٰ رجل من رجال الدين؛ فقد أصبحت سمة التحرر عند بعض الكتاب الشباب هي الهجوم علىٰ الدين والسخرية من رجاله، بل لقد وصل الأمر عند بعضهم إلىٰ حد الهجوم علىٰ السلف الصالح، وتطور الأمر تطورًا خطيرًا عندما أصبحت الملائكة مادة للفكاهات المكتوبة أو المرسومة في بعض المجلات؛ وهذا الاتجاه الخطير يولد في نفوس الناس وخاصة النشء شعورًا عميقًا بالربط بين الدين والرجعية، حتىٰ أصبح الشاب لكي يكون متحررًا يجب عليه أن يتخلص أولًا من نوازع دينه في نفسه، وأصبح الدين وجهًا من وجوه الرجعية التي تعاند التطور وتقف في وجه التقدم.. وإذا لاحظنا ضعف الوازع الديني عند الشباب علىٰ وجه العموم ولأسباب أخرىٰ مختلفة لاستطعنا أن نحس بخطورة هذا الاتجاه الذي يعزز هذا الضعف، والذي يشعر الشباب أنهم بالبعد عن الدين إنما يقتربون من التحرر ومن التطور الذي يلحق المجتمع والعالم.

التعميم خطأ:

وإذا سلمنا بأنه من بين رجال الدين أفراد قد يندفعون في التمسك بحرفيته حرصًا عليه؛ فإننا لا ننكر كذلك أن بعض رجال العلم يندفعون في التمسك بقوانين العلم إلىٰ الحد الذي يجعلهم يرفضون الدين وتعاليمه وقيمه.. وإذا كان وجود أفراد من النوع الأول ليس مبررًا لرفض الدين والتهجم عليه فوجود أفراد

من النوع الثاني ليس مبررًا للتهجم علىٰ العلم ورفضه، ولكن الخطورة تأتي من التعميم ومن تحميل الكثرة والمجموع أخطاء القلة المعدودة.

وإذا حاولنا أن نعود إلىٰ تاريخنا القريب لنرىٰ هل حقيقة كان الدين حجر عثرة في سبيل تقدمنا، وهل حقيقة كان رجاله حربًا علينا وعلىٰ تطور مجتمعنا لرأينا أن العكس هو الصحيح...

مجتمعات أخرى:

لقد وُجِدَتْ مجتمعات أخرىٰ لعب رجال الدين فيها الدور الأول في القضاء علىٰ الحرية، وفي محالفة أعداء الشعوب من الإقطاعيين والمستعمرين، حتىٰ كانت ثورات كثيرة تقوم تحت ضغط ما يفعله رجال الدين الذي زاد كثيرًا عما يفعله الإقطاعيون والحكام الطاغون.

ولكن الأمر في بلادنا علىٰ خلاف ذلك، فلم يكن رجال الدين في مجتمعنا رجال إقطاع، ولم يكن للمساجد سطوتها الدنيوية علىٰ الناس، ولم يبع رجال الدين في مجتمعنا صكوك الغفران... بل لقد كان رجال الدين في مجتمعنا في مقدمة الصفوف التي خرجت لمحاربة الفرنسيين والإنجليز والعثمانيين.

نحن نؤمن بالله:

إننا شعب يؤمن بالله وبرسله وبكتبه المنزلة، فليكن إيماننا بالله رائدنا في مناقشة قضايانا، وخاصة ما يتصل منها بدين الله وبالرجال الذين قاموا علىٰ الحفاظ علىٰ هذا الدين، حتىٰ عندما يدفعهم حرصهم علىٰ القسوة علىٰ من يظنونه خارجًا عن حدوده.

